المخصص في اللغة لابن سيده الأندلسي وآفاقه في الصناعة المعجمية العربية

د/ إبراهيم نادن - الكلية المتعددة التخصصات –أسفي - جامعة القاضي عياض- المملكة المغربية

الملخص:

انطلقت هذه الدراسة من طرح أسئلة تتعلق بمعجم المخصص في اللغة لابن سيدة الأندلسي 458هـ الذي ألفه بغاية مساعدة الباحثين على اللفظ للمعنى الذي يدور في أخيلتهم،وذلك ما جعلني أتساءل :إذا كان ابن سيدة قد رمى بعمله هذا تسهيل الأمر على الشعراء والخطباء في معاناتهم للمفردات ، فهل هذه المادة اللغوية مازالت قادرة على استيعاب معاني الحضارة المعاصرة التي فاقت أخيلة المبدعين المعبرين عنها، وعن العلاقات المتنوعة التي تنتجها،وعن مختلف التيارات والقيم التي تفرزها ؟ وعن التطور العلمي والتقني الذي تعكسه؟ وعلى افتراض أن كثيرا من أبواب المخصص قد ضاقت ألفاظها عن حمل هذه المعاني ، فما هي الطريقة التي ينبغي أن نتعامل بها مع المخصص ؟ خاصة وأنه غني بالمادة اللغوية في مختلف الحقول الحضارية .وقد تبين من خلال النظر في أبوابه أنها دالة على ثراء مادته المعجمية واستمرارية صلاحيتها لا سيما عند المتخصصين مما سيساهم في إعادة الاعتبار للغة العربية لتكون مشاركة إلى جانب اللغات الحية الأخرى أداة للتواصل والإبلاغ كما تبين أنه لبعث هذه الثورة اللغوية الفصحى فإنه لابد من إيلاء مزيد من التشجيع للتعريب الذي وقفنا على قدرة المعاجم العربية على المساهمة في تقديم كثير من الحلول فيما يعرفه من العوائق.

الكلمات المفتاحية:

المخصص –اللغة العربية– الصناعة المعجمية– المادة اللغوية–التراث– معاجم المعاني– الحضارة المعاصرة– التعريب.

مقدمة:

موضوع هذه الدراسة "المخصص في اللغة لابن سيده الأندلسي وآفاقه في الصناعة المعجمية العربية." و تقوم على العناصر التالية:

- **مدخل عن المخصص في اللغة لابن سيده في إطاره العام.**
- **موضوعات المخصص وقضاياه الرئيسة.**
- **منهج ابن سيدة في المخصص وطريقته في شرح المفردات اللغوية.**
- **آفاق المخصص وقيمته العلمية.**
- **خاتمة.**

1- مدخل عن المخصص في اللغة لابن سيده في إطاره العام:

يعتبر ابن سيده رجل المعاجم في القرن الخامس الهجري،الحادي عشر الميلادي بالغرب الإسلامي([1]) ،إذ تحتفظ له المكتبة اللغوية العربية بمعجمين لهما قيمتهما التاريخية والعلمية ألفهما لمجاهد العامري أحد ملوك الطوائف بشرق الأندلس([2])،وقد وسم الأول بالمحكم والمحيط الأعظم في اللغة اتبع فيه طريقة العين في ترتيب مفرداته المعجمية معجبا بطريقة التقليبات الصوتية([3])على الرغم من أن الصناعة المعجمية كانت آنئذ قد ابتكرت أساليب جديدة في الوضع المعجمي([4])،وأما المعجم الثاني فقد مثل شخصية ابن سيدة على مستوى التأليف في معاجم المعاني ،"هذا النوع من المعاجم الذي يفيد الشاعر والكاتب والمترجم ، وصاحب التخصص في إيجاد اللفظ العربي الفصيح للمعنى الذي يريده"([5])، وتنسب هذه المدرسة لأبي عبيد

القاسم بن سلام الهروي (157-224 هـ) حيث جمع شتات مجموعة من الرسائل الخاصة في كتاب كبير يضم أكثر من ثلاثين كتابا سماه (الغريب المصنف)،هذا الكتاب الذي كان من محفوظ ابن سيده كما تدل على ذلك الحكاية التي ترددت في مصادر متعددة ذكر فيها الو قشي عن أبي عمر الطلمنكي قال: دخلت مرسية فتشبث بي أهلها ليسمعوا عني غريب المصنف، فقلت لهم :انظروا إلى من يقرأ لكم، وأمسكت أنا كتابي فأتوني برجل أعمى يعرف بابن سيده فقرأه علي من أوله إلى أخره فعجبت من حفظه "([6])، وانطلاقا من هذه الرغبة التي نرى لدى هذا الجمهور في العناية بهذا النوع من المعاجم رغبت في طرح مجموعة من الأسئلة تتعلق بهذا المعجم الذي يتبع نهجا مخالفا لنهج "المحكم والمحيط الأعظم في اللغة" ، حيث جاء مرتبا حسب الموضوعات الشيء الذي جعله يختلف في غايته عن غاية المحكم ،وان كان الهدف من تأليفهما يكاد يكون واحدا، ذلك أن المخصص ألف بغاية مساعدة المؤلف على إيجاد اللفظ للمعنى الذي يدور في خلده ،ويختلج في صدره ،ويحتاج للفظ المعبر عنه، وقد اعتمد ابن سيدة في هذا الصدد على مادة معجمية تنتمي إلى حقبة زمنية متقدمة ،اعتمد على الغريب المصنف ،وكتاب الألفاظ وغيرهما من الكتب المفيدة، وذلك ما جعلني أتساءل :إذا كان ابن سيدة قد رمى بعمله هذا تسهيل الأمر على الشعراء والخطباء في معاناتهم للغة ومفرداتها ، فهل هذه المادة اللغوية مازالت قادرة على استيعاب معاني الحضارة المعاصرة التي فاقت أخيلة الشعراء والمبدعين المعبرين عنها، وعن العلاقات المتنوعة التي تنتجها، وعن مختلف التيارات والقيم التي تفرزها ؟ وعن التطور العلمي والتقني الذي تعكسه؟ وعلى افتراض أن كثيرا من الأبواب في المخصص قد ضاقت ألفاظها عن حمل المعاني التي يجيش بها صدر المبدع العربي المعاصر ، فما هي الطريقة التي ينبغي أن نتعامل بها مع المخصص ؟ خاصة وأنه غني بالمادة اللغوية في مختلف الحقول الحضارية .إن كل هذا يبرز أننا نحاول تلمس القيمة المعرفية التي يمكن أن تكون لهذا المعجم وغيره من المعاجم التراثية في الدراسات المعجمية الحديثة انطلاقا من فهم كيفية معالجتهم لتأليف هذه المعاجم ، وكيفية تحليلهم للمادة

وترتيبها وتبويبها، ومعرفة الحقول التي تنصرف إليها ،وأخيرا نتساءل حول ما إذا كان هذا المنهج في التأليف مازال قادرا على حل المشاكل التي تعرفها المناهج المعجمية على مستوى الموضوعات ؟

ومن أجل الإجابة عن ذلك رأيت أن أتحدث بإيجاز عن المخصص باعتباره يدخل في صنف معجمات المعاني ،التي يقصد بها :" المدونات اللغوية التي تنقسم إلى مجموعة من الموضوعات ، وفي كل موضوع طائفة من المفردات ليس بينها أي ترتيب ، ولا يجمعها سوى قاسم مشترك واحد هو الحقل الدلالي المعين الذي تنسب إليه ..."([7])،وقد سار هذا النوع من التأليف في مراحل مختلفة، إذ بدأ بكتابة رسائل صغيرة حسب الموضوعات (المطر – الخيل – الشجر – الإبل- خلق الإنسان – خلق الفرس ([8])، ثم جاءت بعد ذلك مرحلة انصرف خلالها العلماء إلى جمع هذه الرسائل في مؤلفات كانت حصيلتها هي ظهور ما يسمى بمعاجم المعاني([9])، رغم استمرار تصنيف الرسائل حسب الموضوعات ، وقد عرف هذا النوع من التأليف أوج اكتماله على يد رجلين من أجل علماء اللغة بالأندلس وهما محمد بن أبان بن سيد اللخمي القرطبي، وعلي ابن إسماعيل بن سيدة المرسي ،أما الأول فهو صاحب كتاب (السماء والعالم)، وأما الثاني فهو صاحب كتاب المخصص ([10])،و" الواقع أنه بعد ابن سيدة ... سيتوقف التأليف في هذا النوع من الكتب اللغوية ، اللهم ما كان من بعض المحاولات القليلة الأهمية مثل كفاية المتحفظ لابن الأجدابي ..."([11])، لكن المشهور عند الدارسين القدامى والمحدثين من معاجم المعاني الأندلسية هو كتاب " المخصص" الذي طبع في سبعة عشرا جزءا ، وقد جمع فيه صاحبه حصيلة الكتب والمعاجم اللغوية السابقة له([12]) ،إذ يحوي كتاب " الغريب المصنف" لأبي عبيد القاسم ابن سلام ، والكتب التي ظهرت معه أو بعده، ولم يطلع عليها أبو عبيد ،وقد رتب ترتيبا موضوعيا في أبواب عدتها سبعة عشر يسميها كتبا . ويتعلق كل كتاب بموضوع له تقسيماته الفرعية، وهو بهذا يبدأ في موضوعاته بالأعم فالأخص، ويعطى في كل قسم ألفاظ موضوعه ومسمياته ([13])، وبهذا اعتبر أضخم معجم للمعاني تعرفه المكتبة

العربية ([14])، ويعرف اليوم من " مخصص " ابن سيدة نسختان مخطوطتان ،إحداهما تامة وهي نسخة القاهرة، والثانية وهي ناقصة وهي نسخة الإسكوريال ، وهي عبارة عن الجزأين الأخيرين من المعجم المذكور الذي يتألف من سبعة عشر جزءا([15]). وقد طبع المخصص بالمطبعة الأميرية ببولاق في سبعة عشر سفرا بدئ في طبعها سنة 1316 هـ، وتم طبعها على التمام سنة 1321هـ وكان طبعه على مخطوطة القاهرة بعناية الإمام محمد عبده، والعالم الشنقيطي محمد محمود ابن التلاميد التركزي بمساعدة بعض المشايخ المصريين ([16]). وقد ظهرت أجزاء المخصص كلها وعدد صفحاتها حوالي ألفين وخمسمائة صفحة ([17]).

و كتب عنه المستشرق الإسباني كابا نيلاس رود ريجيت في المجلة التي تصدرها جامعة غرناطة باسم " منوعات من الدراسات العربية و العبرية " بحثا عنوانه" المخصص لابن سيدة المرسي أول معجم موضوعي في الغرب الإسلامي" ، وكتب عنه الأستاذ محمد الطالبي التونسي تحث إشراف بلاشير دراسة عنوانها :" المخصص لابن سيدة دراسة ودليل ". وصدرت هذه الدراسة مطبوعة بالمطبعة العصرية بتونس سنة 1956.

وبعد هذا الحديث المختصر عن المخصص في إطاره العام ،ننتقل إلى داخل الكتاب فنقرأ موضوعاته وكيفية تحليله للمادة.فقد قدم ابن سيدة لمعجمه هذا بمقدمة([18]) تناولت كثيرا من القضايا كالإشارة إلى اضطرارية اللغة ، والخلاف حول نشأتها أمتواطأ عليها أم ملهم إليها ، منتقلا إلى تعريفها واشتقاقها ، واقفا عند دواعي تأليفه لهذا المعجم، والتي حددها في خوفه على ضياع اللغة العربية ،كما عدد فضائل المخصص ومحاسنه مبينا أنه إنما ألفه ليكون وسيلة " أجدى على الفصيح المد ره والبليغ المفوه والخطيب المصقع والشاعر المجيد المدقع ..." ([19])

أما فضائل المخصص التي ذكر ابن سيدة، والتي تشكل التصور العام للنهج الذي يريد أن يسير عليه في معجمه فمنها " تقديم الأعم فالأعم على الأخص فالأخص والإتيان بالكليات قبل الجزئيات، والابتداء بالجواهر والتقفية بالأعراض على ما

يستحقه من التقديم والتأخير وتقديمنا كم على كيف وشدة المحافظة على التقييد والتحليل ".ومن فضائله أيضا :" إضافة الجامد إلى الجامد والمنصرف إلى المنصرف والمشتق إلى المشتق والمرتجل إلى المرتجل والمستعمل إلى المستعمل والغريب إلى الغريب والنادر إلى النادر "([20]).

وفي نهاية المقدمة يحدد موضوع المخصص فيقول " وأما ما يشتمل عليه هذا الكتاب فعلم اللسان " مشيرا إلى أن علم اللسان ضربان :"... أحدهما حفظ الألفاظ الدالة في كل لسان على ما يدل عليه لشيء شيء منها، وذلك كقولنا طويل وقصير وعامل وعالم وجاهل، والثاني في علم قوانين تلك الألفاظ ،ومعنى القوانين أقاويل جامعة تنحصر في كل واحد منها أشياء كثيرة مما تشتمل عليه تلك الطريقة حتى يأتي على جميع الأشياء التي هي مصوغة للعلم بها أو على أكثرها ،وحفظ هذه الأشياء الكثيرة ،أعني هذه الألفاظ المفردة إنما يدعى علما بأن يكون ما قصد بحفظه محصورا بتلك القوانين، وتلك القوانين كالمقاييس التي يعلم بها المؤنث من المذكر والجمع من الواحد والممدود من المقصور والمقاييس التي تطرد عليها المصادر والأفعال ... ولذلك ذكرت هذه الأبواب كلها بعد ذكر الألفاظ المفردة الدالة...."([21]).

موضوعات المخصص:

يمكن للمتأمل في كتاب المخصص أن يخرج بمجموعة من الحقول الدلالية التي يتفرع إليها هذا المعجم، وهي لا تخرج عن خمسة مواضيع " ولو أن هذا التوزيع لا يبدو محددا بكامل من الوضوح في بنية المخصص "([22])،بحيث يمكن تسمية الموضوع الأول "بالوجود الإنساني ومظاهره" وفيه يتناول المؤلف المسائل الآتية : خلق الإنسان والغرائز الإنسانية واللباس والأطعمة والأمراض والدور والسلاح وما يترتب عنه ، وفي الموضوع الثاني يتناول المؤلف الحديث على الحيوانات على الشكل التالي : الخيل والغنم والبقر، والوحوش والحشرات والهوام والطير، وفي الموضوع الثالث الذي يخصصه المؤلف للطبيعة بعامة والنباتات بخاصة يدرس فيه النخل ، والأشجار المثمرة ،والأشجار البرية ، والرياحين، والمروج ، والمعادن ، وذلك بعد أن يعدد مختلف

أنواع النباتات ، وفي الموضوع الرابع يدور حديثه حول الإنسان في المجتمع ،وفيه يتناول بالدرس الجوانب الآتية :حالة الإنسان الطبيعية والصفات الخلقية ، ذكاؤه وعمله وعلاقاته بالآخرين ولهوه وعقائده الدينية وسلوكه في ظروف معينة ، أما الموضوع الخامس فهو خاص بمسائل نحوية بالدرجة الأولى من مثل كيفية التثنية، والجمل المبنية ، والأضداد ، والهمزة والتصغير وأنواع الجمع والعدد ،وجماع هذه المواضيع هو ما يشكل ما سماه ابن سيدة علم اللسان والذي ذكر أنه يتفرع إلى ضربين : الألفاظ الدالة، والثاني علم قوانين تلك الألفاظ ([23]).

وإذا كان بعض الباحثين قد لاحظ أن المخصص في بنيته العامة يعرف اضطرابا في تأليفه وترتيبه([24]))،فذلك يدفع إلى التساؤل عن الآفاق المستقبلية لمعجم المخصص بمعنى هل سيظل المخصص صعب التناول بالنظر لما تعرفه طبعته الراهنة من اضطراب ؟ وما هي الجوانب التي يمكن الاستفادة منها، في الوقت الذي يحتاج هذا المعجم إلى إعادة ترتيب وفق حقوله الدلالية المختلفة ،وذلك لكي يسهل البحث فيه ، خاصة وأن المعاجم القديمة عامة لم تفقد قيمتها، وإنما تقدم مادة مازالت قابلة للبحت والدراسة فالمخصص مثلا ، وان لم يكن على سعة إطار موضوعاته قد استقطب معارف الإنسان على عصره بحيث لا يحدثنا على الفلسفة واصطلاحاتها، ولا عن علم الكلام ولغته الفنية المتميزة، ولا عن الرياضيات ولا عن الكيمياء ، ولا عن علوم أخرى فانه فيما يبدو لازال قابلا للبحث والتنقيب خاصة في ميدان المصطلحات العلمية ، وقد تعرض محمد الطالبي في أثناء حديثه عن محتويات الكتاب للألفاظ التي جاء بها ابن سيدة في معجمه والتي خرج فيها عن التقليد قائلا: "فهو حين كان يتحدث عن الأخلاق التقليدية التي أفاض فيها العرب ، كالبخل واللؤم لم يبق منحصرا في هذه فقط (ج:3 ص:15) بل يعقد بابا للظرف (ج: 3 ص:36) وإذا حدثك عن النساء لا يكتفي بذكر المحاسن والمساوئ كما خلدها شعراء الجاهلية والإسلام ، بل يفصح المجال للحديث أيضا عن الحلي والتجمل ، والرشاقة ، والأناقة النسائية (ج : 4 ص: 34-59) ، وهو يمر على ذكر الهودج ، ويطوى أمره طيا في بعض اسطر (ج: 4 ص:

34) ليسهب فيما هو اقرب للحضارة والتمدن"، ثم عقب الطالبي على ذلك بقوله : " فهذه كلها ألفاظ حضارة احتجنا أحيانا إلى كلمات أجنبية لنؤدي معانيها أو ما يقرب منها "([25]).كما يمكن الاستفادة من الأبواب التي خصصها للطبيعة ، خاصة ما يتعلق بالألفاظ المتعلقة بآلات السقي والقنوات والآبار والأحواض وغيرها بحيث يمكن أن تكون هذه الأبواب جنيا صالحا للغة أهل الفن في هذه الميادين كلها ...[26]،كما أن عالم النبات يمكنه أن يستفيد من أبواب النبات البري منها و الزراعي [27].ويرى محمد الطالبي أن ابن سيدة لا يعطي للصناعة حقا ذلك أنه يمر مرا سريعا على المعادن لكي ينتقل إلى الأبواب الصرفية من كتابه([28]) .

ونخلص من كل هذا أن المخصص " يحتوي على ثروة في المصطلحات الفنية، تجعل منه أداة بالنسبة للمشتغلين بتلك العلوم التي لم يضق بمصطلحاتها "([29]) ،وهذا ما يدفعنا إلى طرح التساؤل التالي : هل كل مادة المخصص مازالت صالحة للاستعمال وبعبارة أخرى هل الغاية من تأليف المخصص التي كانت هي مساعدة الأديب مازالت تحتفظ براهنيتها؟ في وقت يبدو أن المخترعات التي تتطور باستمرار قد فاقت مادة المخصص التي تضاءلت قيمة بعض موضوعاته ، إن لم تكن قد فقدت – ككتاب السلاح مثلا ، بل إن المخصص في وقته لم يستطع أن " يوفي الحديث في ضروب اللهو وآلاته ، عكسا لما كنا نتوقع من أندلسي عرف البلاط وعاش فيه ، لكن بصير دانية لم ينعم بالحياة فاكتفى ، في حديثه عن آلات الطرب(ج :1 13 ص :9-23) بسرد بعض الأسماء من دون كبير وصف ، بل بلغ به الإيجاز والاقتصاد في القول حدا جعله لا يبذل لباب الرقص أكثر من نصف سطر "([30]).

وهكذا وعلى الرغم مما يطرح من أسئلة حول معجم المخصص أسئلة تستهدف بيان القضايا الأساسية والموضوعات الرئيسة التي يمكن الاستفادة منها في إنشاء معجم موضوعي ،وتستهدف فوق ذلك طرح الموضوعات التي فقدت قيمتها في مساعدة الباحثين عن الألفاظ ، فان المخصص مازال إلى حد الآن يشكل مرجع الخواص ولا يسهل على غيرهم الانتفاع به([31]) ،في وقت ينبغي فتحه لكل مهتم باللغة العربية ، نظرا

لأنه يتوفر على ميزة أساسية بين نظرائه من المعاجم القديمة " تتجلى في ثراء مادته اللغوية التي لم تقتصر على القديم المهجور من اللغة ، بل شملت الحضارة والثقافة في مختلف أشكالها (....)، ومن ثم كان كثير مما احتواه هذا المعجم من الكلمات والتعابير وسيلة قيمة جدا لفهم ذلك وتصوره "([32])،بالإضافة إلى أنه يتوفر على مصطلحات فنية يمكن أن تجعله قادرا على "حل مشكلة مطروحة بإلحاح أمام الكاتب العربي المعاصر،وهي مشكلة فقر اللغة في المصطلحات التي تكون ملائمة للتعبير عن معطيات التقدم الذي حققته العلوم الحديثة "([33])، الشيء الذي يستفاد منه أن المخصص أساسي في إحياء كلمات قديمة ،وجعلها متداولة من جديد غير "أن أجزاء هذا المعجم ليست كلها متساوية القيمة والنفع في هذا المجال"([34]) ،ونتيجة لما سبق نطرح هذا السؤال : هل يسير المخصص نحو فقد قيمته خصوصا وأن الكاتب لم يعد يكتب اليوم " بذلك الأسلوب المتصنع الذي كان يكتب به الأسلاف" ([35]) أي كيف نعثر على مواطن القوة في معجم المخصص الذي لم يستغل استغلالا علميا إلى حد الآن ، وهذا يطرح أولا وقبل كل شيء وضع دليل لهذا المعجم الضخم لا يقتصر على فهرسة موضوعاته ... وإنما يتناول مواده ومحتوياته([36]).

منهجه :

سبق أن أشرنا إلى أن المخصص لا يتجه إلى الباحث عن شرح كلمة استعصى عليه فهمها ، بل يتجه للشاعر والخطيب والكاتب الذي يريد أن ينتقي من بين الألفاظ المتنوعة المفردة الخاصة التي تؤدي المعنى الذي يختلج في صدره على أحسن وجه ، وفي هذا الإطار نتساءل عن المنهج الذي سار عليه ابن سيدة في تأليف هذا المعجم؟ و سنقاربه من خلال بعض الأمثلة .

يقوم المنهج الذي يسير عليه ابن سيدة في المخصص أساسا على تجميع الكلمات حول بعض المحاور الرئيسة تختلف من حيث طولها ووفرة مادتها ،واليها يتجه

مضمون "الكتاب" والباب" حيث أن الخيط الذي ينتظم الكلمات هو تناظر معانيها وتشابهها[37] .وتجدر الإشارة إلى أن بناء الكتاب على حسب الموضوعات ليس من ابتكار ابن سيدة، حيث لجأ العرب إلى هذه الطريقة منذ أول تنبههم إلى ضرورة جمع اللغة، ويمكن متابعة منهج ابن سيدة في أجزاء من مقدمة معجمه حيث يقول مثلا : "فأما فضائل هذا الكتاب من قبل كيفية وضعه فمنها تقديم الأعم فالأعم على الأخص والإتيان بالكليات قبل الجزيئات والابتداء بالجواهر والتقفية بالأعراض ... وتقديمنا كم على كيف وشدة المحافظة على التقييد والتحليل ... "، و الملاحظ ابن سيدة لم يكن وراء خلق هذا المنهج وإنما سار وفق خطى أبي عبيد في الغريب المصنف ، حيث أخذ عنه تقسيم " الكتب والأبواب والفصول ، كما أخذ عنه أسماء بعضها ، وان كان قد أضاف أبوابا جديدة التي لم تر عند أبي عبيد ، واستقاها هو من أحسن ما ألف بعد هذا([38])،وهكذا استفاد ابن سيدة من الخطوط العامة للمنهج الذي سار عليه القدامى من مؤلفي المعاجم المصنفة ولا سيما أبا عبيد الهروي ، ثم مضى يسد الثغرات ويحكم هيئة البنية الأساسية الملائمة أكثر من غيرها، لوضع هذا اللون من المعاجم([39]).

وقد حقق ابن سيدة إلى حد ما هدفه ونجح بفضل الترتيب الذي سلكه ، إذ جعل المفردات تلتف حول محاور عامة ، تزيد وتقل عموما وثراء ، يرشد إليها موضوع الكتاب والباب ، أو عنوان ما عادة "([40]) ،وعلى الرغم من أنه لم يستطع أن يرتقي في كتابه ارتقاء منطقيا معقولا ، فانه استطاع أن يجعل من الكائن البشري مركز المصنف ومحوره فأمكنه من توالي الموضوعات تواليا غير بعيد عن المنطق،ومن إحكام هندسة الكل إحكاما مستقيما([41]) ، ولم يمنعه هذا من الخضوع لعاطفته إذ على الرغم من رسمه "الإطار العام ، أخذ يعتمد ويستجيب توارد الخواطر حيث يسود العنصر العاطفي "([42])، والواقع أن هذه الطرائق في التصنيف ليست بطرائق ابن سيدة بمفرده ، طبعا ، وإنما هي طرائق مصادره أيضا ، طرائق المؤلفين من العرب على العموم ، وفيهم الجاحظ الذي جعل من الاستطراد انقيادا لتوارد الخواطر ، منهجا

مشعورا به " ([43]) ،وستتضح هذه الخطوات أكثر من خلال ما سنعرضه من بعض النماذج التي سنوردها لنرى كيف عرض ابن سيدة مادة معجمه وكيف شرح المفردة اللغوية وكيف تعامل مع المصادر . يقول ابن سيدة تحت عنوان " ضخم الصوت وجفاؤه ":" ابن السكيت * عذمر في كلامه عذمرة – تكلم وجفا صوته وقحم الكلام بعضه في أثر بعض وأنشد: (وحاد ذو عذا مير صيدح) " .وقال* زمجر زمجرة – جلب وصوت بجفاء وانه لذو زماجر والاسم الزمجر * أبو عبيد الجهير – الصوت العالي، وهو الجهر جهر بكلامه يجهر جهرا وجهارا الاسم والمصدر سواء * الفارسي* قال ثعلب جهرت بالكلام وأجهر ته – أعلنته * الأصمعي : جهرت به جهرا ، صاحب العين :الجهوري – الصوت العالي. ابن السكيت: وفيه جهورية جهور كلامه . فخمه .* الأصمعي : جاهرتهم بالقول جهارا – عالمتهم * ابن السكيت * دهور في كلامه كجهوره وقيل هو أشد من الجهورة . قال: ولم أسمعهم يقولون دهورية مثل ما قالوا جهورية . صاحب العين : رجل دهوري صلب، وجزم الصوت جهارته . ابن دريد: البرجمة غلظ الصوت والعتت شبيه بالغلظ في كلام أو غيره .صاحب العين :رجل جهم وامرأة جعمة – في كلامهما غلظ مع سعة حلق "([44]).و من " أبواب الأمراض " يقول تحت عنوان " الزكام " أبو زيد : هي الزكمة والزكام وقد زكم زكمه الله زكما . ابن دريد : ضئك الرجل وضنك زكم وهو ضنك وبه ضنكة أي زكمة . صاحب العين : الخبطة كالزكمة تصيب في قبل الشتاء، وقد خبط ولبط لبطا . أبو عبيد : أرضه الله وأملأه وأضأده من الأرض والملاءة والضؤودة وكله الزكام . أبو زيد: الزنكمة : الزكمة. صاحب العين : السدة والسداد – داء يسد الأنف والثطع – الزكام : ابن دريد : ثطع الرجل : زكم . ابن السكيت : بججت وبححت تبح فيهما : وذلك إذا خشن صوته من الزكام . أبو عبيد : امرأة بحة وبحاء "([45]).

و لعل من خلال هذه النماذج تتضح طريقة ابن سيدة في عرض مادته وتحليلها فهو " يبذل جهده في تحديد مفهوم كل لفظة وتخصيصها بمعناها ، ولعل لفظ المخصص ، وهو العنوان الذي اختاره المؤلف لكتابه ، إنما أملته هذه الرغبة

"([46]).وفوق هذا فقد التزم ابن سيدة الأمانة العلمية في نقله المادة المعجمية ، " فكثيرا ما نراه في حال اختلاف من ينقل عنهم بذكر الروايات المتضاربة كلها ويضعها أمام القارئ دون أن يقطع بإحداها([47])، وقد أشار في مقدمة المخصص إلى هذا حين يقول: " وقد وجدت في ذلك اختلافا كثيرا فإما اقتصرت على أصحه عندي ،وإما ذكرت اختلافهم وأحضرت جميع ذلك من الشواهد..."([48])، وهذه مزية كبيرة لها قيمتها في مثل هذا النوع من التصانيف القائمة على الجمع والتنسيق " كما يرى أمجد الطرابلسي ([49]). ،ويرجع الطالبي هذه الأمانة العلمية في النقل إلى تأثر الرجل بمنهج علم الحديث خصوصا وانه تتلمذ على أبي عمر الطلمنكي " فلا غرابة إذا ما اكتسب إذن ابن سيدة عقلية المحدثين ... فطبع بطابعها مؤلفه " ([50]) .بل إن المخصص " لا يخلو من سلاسل الأسانيد المفصلة ، ولا من مصطلحات المحدثين الفنية ، " كحدث" و"روى و"أخبر" و" حكى و قال وإن كانت نادرة طبعا "([51])، ومما يدل على ذلك قوله في المخصص تحت عنوان " الغذاء السيئ للولد "" .... قال أبو علي : أخبرني أبو بكر بن دريد عن عبد الرحمان عن عمه قال سمعت المفضل يوما ينشد بيت أوس بن حجر " تسكت بالماء تولبا جدعا " ([52]) .

طريقة ابن سيدة في شرح المفردات:

يبدو مما سبق أن طريقة ابن سيدة في شرح المفردات لا تكتسي مجهودا فرديا ، بل هي دائما ثمرة عمل جماعي يشارك فيه ثلة من أئمة اللغة الذين اعتمد عليهم ابن سيدة تنير بمختلف أقوالها المفردة من شتى نواحيها المعنوية والصرفية والنحوية أحيانا، و بالإضافة إلى هذا تأتي شروح المخصص حسنة التنسيق دون أن يمنع هذا من القول بوجود ثغرات بها" ذلك أنه لا يندر أن تأتي التعاريف به مبهمة ، لا تمكن من إدراك المعنى ، بل يشملها أحيانا نصيب غير قليل من السذاجة كقوله : " القلاع داء يصيب الناس في أفواههم (ج 1 ص 156) : وقد يغفل التعريف تماما ، إذ يعسر أن

نعتبر عبارات من قبيل : دابة من دواب البحر" و"ضرب من السمك" و" اسم بعض حيتان البحر (ج10 ص 21) كتعاريف "([53]) . وتبعا لهذا" يستحيل أن نتحدث عن مذهب ابن سيدة في شرح المفردات وتعريفها إذ هو ، وان حمل في مقدمته على من تقدم وزعم تلافي نقصهم وهفواتهم في هذا الصدد، لا يشرح ولا يعرف شيئا "([54])، ورغم ذلك فان صيغة التعريف بالمخصص لا تعدم الوحدة بالرغم من تعدد الأئمة المنقول عنهم([55]).

خصائص المخصص:

تبين مما سبق أننا قد اشرنا إلى بعض هذه الخصائص ولذلك فإننا سنعمل فيما يلي على استنتاج مدى بروز شخصية ابن سيدة في المخصص أم بقائه في مركز الأخذ والجمع دون تدخل شخصي ، كما يستهدف هذا العمل أيضا محاولة استقصاء بعض الظواهر المميزة لهذا المعجم إذ تبين لنا من خلال ما عرضنا سالفا أن ابن سيدة لا يكاد يملك شيئا من مادة المخصص، وإنما هو ناقل أسلوبه في التصنيف من كتب الأوائل ، حسب قوانين التراكم المتعارفة، ويخضع هذا التراكم من ناحية لقوانين التوارد التي سبق تحديدها ، ومن ناحية أخرى ، فيما يخص كلمة معينة ، يعتمد جمع ورص كل الأقوال الواردة فيها في كامل المصادر التي شملها اطلاع المؤلف ([56]) ، وتبعا لهذا فان ابن سيدة " لا يكاد يتخذ موقفا ، ولا يكاد يفوت تأويلا على تأويل ولا قولا على قول ، بل هو من التواضع والنزاهة بحيث لا نعثر عليه في مؤلفه إلا نادرا "([57]) ، ومن هنا نستنتج أن من خصائص المخصص غياب شخصية المؤلف التي لا تظهر إلا عن طريق " بعض الملاحظات الجزئية ، والنحوية غالبا ، ولعل من أسباب هذا الغياب أن ابن سيدة أخذ على نفسه " أن لا يفسح المجال إلا لفصيح اللغة ، وفصيحها لا يؤخذ إلا عن الأعراب أو عن الأئمة ، وباب الاجتهاد والاشتقاق والتوسع قد غلق "([58]) .

ومن خصائص المخصص كذلك" الاستطراد وتوارد الخواطر وهي آفة ذلك الزمان أي آفة عدم التقيد بصلب الموضوع ، ومنها أيضا ظاهرة الجمع أي جمع التفاسير

المتعلقة باللفظة الواحدة ورصفها بصورة من الصور ،ومنها أيضا التحقيقات اللغوية والصرفية ،ومن خصائصه أيضا صعوبة العثور على اللفظة المطلوبة ،وذلك لأسباب منهجية صرفة، تعود إلى الهدف من تأليف الكتاب الشيء الذي يدعو إلى إعادة النظر في المخصص([59]) .

آفاق المخصص وقيمته :

سنتوخى في هذه النقطة من هذا البحث طرح تساؤلات مختلفة حول المخصص : ما هي المرتبة التي ينبغي أن يحتلها المخصص، وما هو الدور الذي يمكن أن يكون له في مجال الدراسات اللغوية العربية عامة وفي الصناعة المعجمية خاصة؟ وما هي القيمة التي يحتلها بين المعجمات العربية والمصنفات اللغوية المتقدمة؟ ومرة أخرى هل هذا المصنف اللغوي كفيل بحل المشاكل التي يعرفها المبدع العربي المعاصر،وكيف يمكنه ذلك ؟

نطرح هذه الأسئلة لتكون خطوطا عريضة وأسئلة عميقة ترمي إلى البحث عن سبيل للخروج بالفكر العربي من التقليد والتبعية بغية جعله متفاعلا مع العلم الكوني قديمه وحديثه لكي يساهم في بناء الحضارة العربية من جهة والحضارة الإنسانية من جهة أخرى، وهذا لن يتم إلا بالقضاء على هوة التباعد بين الباحثين العرب وتشجيع الأعمال الجماعية المنسقة الكفيلة وحدها بتحقيق كل مشروع نهضوي. وإذا كنا نطرح هذه الأسئلة حول قيمة المخصص ، فلأننا نود معرفة آفاقه المستقبلية منطلقين من أن قيمة كل شيء هي فيما يترتب عنه من نتائج تظهر ملموسة لا في التلفظ بأحكام قيمة ك " أضخم " و" أحسن" "" ولم يؤلف أحسن منه ،هذه العبارات التي غالبا ما نجدها عند من ترجم له ، أحكام تصدر عن تعاطف أو رؤية خارجية دون أن تصدر عن تعامل نقدي تحليلي، تعامل يتتبع كل جزئيات هذا المعجم بغية توضيح قيمته العلمية . إن ما قدمه الأقدمون يستحق الإجلال والتقدير، ولكن

العيب أن نظل عندما قاله هؤلاء دون أن نحلله وندرك أعماقه ، فاللغويون القدماء استعملوا مصطلحات تستخدم اليوم في البحوث اللسانية ، وآمنوا بكونية العلم وشموليته كما يقول ابن سيده مثلا في المخصص مؤمنا بشمولية علم اللسان:"

وليس هذا الذي نذكره ههنا مقصورا على اللسان العربي فحسب هو حد شامل ولعلم كل لسان ..." ([60])،وبعيدا عن هذا أين نضع المخصص ، كمعجم لغوي جاء في مرحلة مضطربة مر بها العالم العربي الإسلامي ، فكان بذلك وسيلة للدفاع عن الذات ، وفرضها في التاريخ المستمر ، الشيء الذي ينبغي أن نأخذ منه العبرة ،وإن كان العمل لا يجب أن يقتصر اليوم على الجمع ولكن ينبغي أن يتجه إلى خلق منهج في التعامل مع الصناعة المعجمية ،بغية تطويرها، وذلك في سبيل الحفاظ على اللغة العربية ، وخدمتها باعتبارها لغة حية قابلة للتطور . ومن هنا نكون على جانب كبير من الصواب إذا قلنا انه ينبغي لنا " أن نضع المخصص موضعه من دون إجحاف ولا إفراط في حقه " ([61])،ذلك أن المخصص له قيمته ولكن لا تصل إلى حد وسمه بالمعلمة رغم احتلاله بين المصنفات اللغوية الموسعة محلا ممتازا حيث يعد من أقدمها و أوفرها مادة سبق اللسان والقاموس والتاج وغيرها([62])،وتبرز قيمة المخصص أيضا في انه حفظ مواد لغوية ونحوية ضاعت كتبها واندثرت ، ومن قبل حرصنا على بيان أن المخصص معجم ثري بالألفاظ الصالحة للتعبير عن معاني الحضارة والتمدن، وأنه معجم اللفظة الخاصة والمصطلح الفني الشيء الذي يؤهله لأن يكون " أداة أهل العلوم ممن هم في حاجة إلى المصطلحات لتأدية أغراضهم "([63])،و لكن رغم هذا فان تأثير المخصص في المعاجم اللاحقة له يبدو معدوما ، فمن اعتمد ابن سيدة اعتمد محكمه ،وأغفل المخصص كصاحب اللسان ،ولعل هذا يرجع إلى صعوبة التعامل معه مما يدعو إلى دراسة مادته المعجمية ،و إعادة تبويبها وترتيبها وفهرستها " وأن نحدد نفعها وما يرجى من عائدتها بالنسبة لكتاب اليوم ومشاكلهم التي يطلبون لها حلولا بوسائل شتى، منها بعث الكلمات الغابرة من رموسها وإحياؤها ،ولا يخفى نفع المخصص في هذا الصدد إلى جانب الاشتقاق والتعريب([64])،مع التنبيه على أن هذه المواد تختلف قيمة

بالنسبة لنا ولمشاكلنا الحاضرة، ولقد رأينا بعض الكتب ككتب الإبل والنخل لا تزيد قيمتها أن تكون تاريخية ، أو أثرية ([65])،ويبدو محمد الطالبي غير راض عن إيراد ابن سيدة تسميات عدة لمسمى واحد حين يقول : "وأن يورد ابن سيدة العشرات من الألفاظ لتسمية العجوز فما في ذلك همنا اليوم أيضا،كما أننا لا نعير إلا اهتماما نسبيا للفصول التي عقدها المؤلف للأضداد "([66]).فهل حقا ينبغي أن لا نهتم بالترادف والتضاد في المخصص مع العلم أنهما مبحثان أساسيان يدخلان في الدراسة اللغوية المعاصرة في مباحث "علم الدلالة" .بل إن هذين المبحثين ومبحث الاشتراك ومباحث الحقيقة والمجاز ومباحث الدال والمدلول هو ما يمكن أن نبحث فيه أصالة البحث الدلالي في اللغة العربية ، و لذلك لا يخلو بحث ابن سيدة في الاشتراك والترادف والأضداد من أهمية في وقت أصبحت كتب علم الدلالة تهتم بهذه المواضيع بل إن علم الدلالة بتناوله ذلك غدا مؤطرا للحدث اللغوي في الحقول المعرفية المختلفة .وهكذا يبدو من خلال ما تقدم- ولو نسبيا- قيمة المخصص، هذه القيمة التي تتمثل " في ما احتوى عليه من ثروة لغوية لم تقتصر على العتيق البالي ، بل عمت الحضارة أيضا بمختلف ألوانها وضروبها ، مما يجعلنا نظفر فيه بألفاظ وعبارات تؤدى أغراضها اليوم تماما ، أو يمكن أن تستعار إلى ذلك على الأقل"([67]) ،ذلك أن العالم الحياتي مثلا لا يرجع خاوي الوفاض من جولته خلال فصول كتاب خلق الإنسان فإنه يقول مثلا في " أسماء ما يخرج مع الولد : " أبو عبيد : السلى : الجلدة التي تكون فيها الولد،أبو زيد: والجمع أسلاء...ابن دريد:المشيمة : السلى . قال ثابت : خص الأصمعي بالسلى الماشية وبالمشيمة الناس. أبو عبيد : الغرس : الذي يخرج مع الولد كأنه مخاط وجمعه أغراس. ابن جني : ويقلب فيقال أرغاس . قال أبو علي : ويستعمل الغرس في الإبل والشاء ... أبو حاتم:السكبة: الغرس.أبو عبيد الشهود ما يخرج على رأس الصبي واحدها شاهد...والحولاء : جلدة تخرج مع الولد فيها ماء وخطوط خضر وحمر . أبو عبيد: السابياء : الماء الذي يكون على رأس الولد .سيبويه : الجمع سواب. علي : وهذا قياس مطرد في كل ما كان على وزن فاعلاء ضارعوا بها فاعلة في آخرها علم التأنيث

كما هو في فاعلة،وإن اختلف العلمان... أبو عبيد السخد : ماء ثخين يخرج مع الولد، ومنه قيل رجل مسخد إذا كان ثقيلا من مرض أو غيره. أبو عمرو : السخد والصخد للماشية.

أبو عبيد : السخد هنة كالطحال أو الكبد مجتمعة تكون في السلى ،ربما لعب بها الصبيان : ابن دريد : الرهل : الماء الأصفر الذي يكون في السخد .والسقي : جليدة رقيقة تخرج على وجه الولد فيها ماء أصفر تنشق عن رأس الولد عند خروجه وكذلك المسكة .ثابت : الماسكة قشرة تكون على وجه الصبي . صاحب العين : الحضير ما اجتمع في السلى من السخد ..." ([68])

هذه كلها ألفاظ يمكن الاستفادة منها في مجال علم الحياة خاصة حينما يكون الحديث عن تعريب العلوم في الوطن العربي. كما أن العالم النباتي يمكنه الاستفادة من الأبواب المخصصة للنبات " ولعل أحسن مثال يدل على ثراء المخصص بالمصطلحات الأبواب المخصصة للكروم حيث يتبع ابن سيدة الكرم في نموه واختلاف طرق غرسه ، ويذكر كل العبارات الفنية المتعلقة به في مختلف أطواره وحالاته وما يحمل عليه من قضبان ، وما يصلح به من آلات ، وما يعالج به ، وما ينتج من أنواع العنب العديدة "([69])، كما أن العلوم الطبيعية تستطيع أن تجد ما تجني من أبواب المخصص المتحدثة في شيء من العمق أحيانا ، على مختلف أجناس الحيوانات والنبات والجماد([70]).ويبدو أننا نشير إلى ذلك في سياق ما يستشعره المنشغلون بأمر التعريب في الوطن العربي من الحواجز والصعوبات خاصة ما يتعلق بعدم توفر المصطلحات العلمية([71]) في الوقت الذي "أصبح علم اللسانيات الحديثة طموحا بعد ظهور نظرية المجال الدلالي لإعادة بناء نظام المعاني،وذلك عندما التقت البنيوية مع علم الدلالة،وشهد هذا اللقاء بناء مجموعة من الكلمات على أساس وجود خصائص معينة لهذه الكلمات،كمحاولة طموحة لإعادة بناء المعجم ،خاصة بعد أن أعر اللسانيون المشتغلون بالمعجمات عن عدم رضاهم عن الطريقة الآلية في تبويب الكلمات بطريقة الألف باء ،ورأوا تصنيفها على أساس المعاني.." ([72])

الخاتمة:

تبين من خلال النظر في أبواب المخصص أنها دالة على ثراء مادته المعجمية واستمرارية صلاحيتها في وقتنا الراهن لا سيما عند المتخصصين في دراسة اللغة العربية ، مما سيساهم في إعادة الاعتبار لهذه اللغة التي لا تموت من أجل جعلها مشاركة إلى جانب اللغات الحية الأخرى أداة للتواصل والإبلاغ كما تبين أنه لبعث هذه الثورة اللغوية الفصحى فإنه لابد من إيلاء مزيد من التشجيع للتعريب الذي وقفنا على قدرة المعاجم العربية على المساهمة في تقديم كثير من الحلول فيما يعرفه من العوائق،ولعله انطلاقا من ذلك تساءلنا عن مدى قدرة منهج ابن سيدة في المخصص على حل المشاكل التي تعرفها معاجم الموضوعات هذا النوع من التأليف الذي توقف بعد ابن سيدة بغض النظر عن بعض المحاولات التي لم ترق إلى مستوى المخصص ، ولعل كلمة التوقف قد تدفع المتأمل إلى طرح التساؤلات ،وفي كل الأحوال ما هي أسباب هذا التوقف خصوصا وأن معاجم المعاني أساسية في البحث عن الألفاظ المتعلقة بموضوع معين يشغل اهتمام الباحثين والمبدعين الكتاب أي أننا نطرح هنا فكرة مدى إمكانية تأسيس معجم موضوعي في الفترة الراهنة وما هي أدواره ؟

إن التوقف في التأليف في هذا المجال لا يعني الاكتمال والنضج النهائي لأن الأمر يتعلق باللغة و" اللغة الإنسانية تخضع عبر تاريخها الطويل إلى قانون من القوانين الحتمية وهو قانون التطور إذ لا يمكن أن نتصور أنه في قلب مجتمع نابض بالحياة ، ينمو و يتكاثر ، ويتطور ويتحرك عبر امتداد زمني ، توجد لغة جامدة تمام الجمود " ([73]) ،ولذلك نستبعد فكرة الاكتمال ، لأنه لا وجود لشيء مكتمل وتبعا لذلك فإن السبب في هذا التوقف راجع إلى النكبات التي ابتلي بها العالم العربي الإسلامي منذ القرن الخامس الهجري و عاش عواقبها و لم يستفد منها إلى الآن .

وقد آن الأوان لبعث إحساس من نوع خاص في الفترة الراهنة من أجل خدمة اللغة العربية بهمة الغيورين على اللغة التي وصفها الثعالبي بقوله:" من أحب الله

تعالى أحب رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم،ومن أحب الرسول العربي أحب العرب ،ومن أحب العرب أحب العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب،ومن أحب العربية عني بها،وثابر عليها،وصرف همته إليها،ومن هداه الله للإسلام ،وشرح صدره بالإيمان ،وآتاه حسن سريرة فيه،اعتقد أن محمدا صلى الله عليه وسلم خير الرسل والإسلام خير الملل والعرب خير الأمم،والعربية خير اللغات والألسنة ،والإقبال على تفهمها من الديانة،إذ هي أداة العلم،ومفتاح التفقه في الدين،وسبب إصلاح المعاش والمعاد،ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة،ولو لم يكن للإحاطة بخصائصها والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن،وزيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان لكفى بهما فضلا يحسن فيهما أثره ،ويطيب في الدارين ثمره فكيف وأيسر ما خصها الله عز وجل به من ضروب المادح يكل أقلام الكتبة،ويتعب أنامل الحسبة ،ولما شرفها الله تعالى عز اسمه وعظمها ،ورفع خطرها وكرمها وأوحى بها إلى خير خلقه،وجعلها لسان أمينه على وحيه وأراد بقاءها ودوامها حتى تكون في هذه العاجلة لخير عباده ،وفي تلك الآجلة لساكن جنانه ودار ثوابه قيض لها حفظة وخزنة من خواصه من خيار الناس وأعيان الفضل وأنجم الأرض تركوا في خدمتها الشهوات،وجابوا الفلوات ،ونادموا لاقتنائها الدفاتر،وسامروا المحابر،وكدوا في حصر لغاتها طباعهم،وأجادوا في نظم قلائدها أفكارهم وأنفقوا على تخليد كتبها أعمارهم،وعمت المصلحة،وتوفرت العائدة."[74]

وهكذا فكما يمكن الحديث عن إمكانية تأسيس معجم لفظي يستفيد من المعاجم القديمة وأساليب صناعتها دون أن يغفل التطورات المنهجية والمصطلحية التي عرفتها اللسانيات المعاصرة، والتي يمكن أن تستفيد منها الصناعة المعجمية العربية الحديثة ، فالفكرة نفسها يمكن الاستنارة بها في مجال معاجم المعاني ،وفي هذا الصدد يمكن الاستفادة من عمل ابن سيدة في المخصص لأن عمله - ولا شك- يعتبر أدق عمل قدم للعربية في هذا المستوى إلى حد الآن، كما يمكن الاستفادة من مباحث علم الدلالة أي ما يتعلق بفكرة الحقول الدلالية وما يتعلق بالمشترك

والترادف والتضاد لأن هذا النوع من المعاجم – فيما يبدو-ينبغي أن يستمر في عصرنا من أجل مساعدة المبدعين والباحثين العرب على حل مشاكلهم مع اللغة ، ولذلك فإننا لا نقفل باب الأسئلة حول المعجم العربي عامة اللفظي منه والمعنوي قديما وحديثا ،وإنما نظل متسائلين :كيف نؤسس معجما عربيا يعبر عن هويتنا اللغوية ؟ وما هي المناهج الكفيلة بتحقيق هذه المشاريع ؟ هل نقف بدورنا عند المادة اللغوية القديمة لنؤكد أصالتنا فنكون غير معاصرين أم نقطع علاقتنا مع المعجم القديم ونتجه إلى استيراد المادة والمنهج أي نلجأ إلى المحاكاة فنكون مستهلكين لا غير ؟ كيف إذن يمكن تأسيس تصور معجمي حديث ،وكيف يمكن تحقيق هذا التصور ،بمعنى أخر ما هي التقنيات التي ينبغي الاعتماد عليها في تحقيق هذا التصور؟وهل هذا التصور ينبغي أن يتفق على التخطيط له والسهر على تحقيقه أفراد أوجماعات، دولة أو دول ، وطن عربي أو هو مشروع علمي عالمي ؟ كل هذه الأسئلة إنما تهدف إلى البحث عن مخرج للعربية من أجل جعلها رائدة إلى جانب أخواتها أي نقلها من كونها لغة الكتب وثنايا الأوراق إلى لغة العمل والممارسة . لأننا ننطلق من أن العجز فينا وليس في العربية كما يتصور بعض المفكرين [75].

الهوامش:

[1]- أنظر ترجمته في جذوة المقتبس للحميدي ص:311.

[2]- ذكر الحميدي أن ابن سيده كان في خدمة الموفق مجاهد العامري ملك دانية(انظر المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ج2،ص:259،وانظر بخصوص سيرة مجاهد العامري البيان المغرب لابن عذاري المراكشي ج3،ص:155.

[3]- هو ترتيب ظهر عند الخليل،ويعتقد أنه يقوم على أساس علمي منطقي تجريبي متعلق بحيز خروج الحرف من جهاز النطق.وقد رتب الحروف على النحو التالي: ع،ح،هـ،خ،غ،ك،ق،ج،ش،ض،ص،س،ز،ط،ت،د،ظ،ذ،ث،ر،ل،ن،ف،ب،م،و،ي،أ،ء.(انظر في المعجمية والمصطلحية تأليف الأستاذ الدكتور سناني سناني ،عالم الكتب الحديث ،الأردن،2012،ص:60).

[4]- والمقصود بذلك مدرسة القافية ومدرسة الأبجدية العادية،فالأولى نظرت في الترتيب إلى الحرف الأخير في المادة الذي يجعل بابا والحرف الأول فصلا،ومن أقدم من سار على هذا النظام الجوهري 398هـ في معجمه الصحاح.أما المدرسة الأبجدية العادية فتراعي وضع الألفاظ وترتيبها في أبواب وفصول حسب الترتيب الموجود في الكلمة،ومن أقدم من نهج هذا الترتيب المعجمي ابن فارس 395هـ في معجميه: مقاييس اللغة ومجمل اللغة (انظر فقه اللغة: مفهومه، موضوعاته، قضاياه، تأليف محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1426،1-2005،ص:313 وما بعدها.

[5]- د.سناني سناني : في المعجمية والمصطلحية ،عالم الكتب الحديث ،الأردن،2012،ص:59.

[6]- ابن فرحون:الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان،ص:204.

[7]- د. الودغيري(عبد العالي):المعجم العربي في الأندلس، مطبعة المعارف،الرباط،ط1404،1-1984،ص :71.

[8]- نفسه:71.

[9]- نفسه:71-72.

[10]- نفسه:71-72.

[11]- نفسه:73.

[12]- نفسه:73.

[13]- وجدي رزق غالي:المعجمات العربية ببليوغرافيا شاملة مشروحة،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،القاهرة،1391-1971،ص:52.

[14]- د. الطرابلسي أمجد:نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب،ط1406،5-1986،ص:75.

[15]- د. الطالبي محمد:المخصص دراسة ودليل،المطبعة العصرية،تونس،1375-1956،ص:153.

[16]- ذ.الشرقاوي أحمد إقبال:معجم المعاجم تعريف بنحو ألف ونصف ألف من المعاجم العربية التراثية،دار الغرب الإسلامي،ط1 ،1407-1987،بيروت،لبنان،ص:153.

[17]-د.داريو كابانيلاس رودريكس:ابن سيده المرسي،ترجمة وتعليق:حسن الوراكلي، مجلةالمناهل،وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية،الرباط،المغرب،ع:6،ص:456.

[18]- ابن سيده: المخصص في اللغة، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،ج1،ص:2-15.

[19]- نفسه:10.

[20]- نفسه:10-11.

[21]-نفسه:14.

[22]- د.داريو كابانيلاس رودريكس:ابن سيده المرسي(مذكور) مجلةالمناهل ،ع:7،ص:308.

[23]- نفسه:308،وانظر مقدمة المخصص.

[24]- د.محمد الطالبي:المخصص دراسة ودليل(مذكور)،ص:18.

[25]- نفسه:62.

[26]- نفسه:63.

[27]-نفسه :63-64. وانظر المناهل ع7،ص:313-314.

[28]- د.محمد الطالبي:المخصص دراسة ودليل(مذكور)،ص:63-64.

[29]- مجلةالمناهل ع:7(مذكور)،ص:313.

[30]- د.محمد الطالبي:المخصص دراسة ودليل(مذكور)،ص:64.

[31]- مجلةالمناهل ع:7(مذكور)،ص:315.

[32]- نفسه:313.

[33]- نفسه:313.

[34]- نفسه:313.

[35]- مجلةالمناهل ع:6 (مذكور)،ص:459.

[36]- نفسه:459.

[37]- نفسه:462.

[38]-نفسه:492.

[39]- نفسه:492.

[40]- د.محمد الطالبي:المخصص دراسة ودليل(مذكور)،ص:40.

[41]- نفسه:27.

[42]- نفسه:28.

[43]-نفسه:30.

[44]- ابن سيده:المخصص في اللغة(مذكور)،ج2،ص: 132.

[45]- نفسه ج5،ص:76.

[46]- د. الطرابلسي أمجد:نظرة تاريخية في حركة التأليف(مذكور)،ص:84.

[47]- نفسه:84.

[48]- ابن سيده:المخصص في اللغة(مذكور)،ج1،ص:13.

[49]- د. الطرابلسي أمجد:نظرة تاريخية في حركة التأليف(مذكور)،ص:84.

[50]- د.محمد الطالبي:المخصص دراسة ودليل(مذكور)،ص:33.

[51]- نفسه:33.

[52]- ابن سيده:المخصص في اللغة(مذكور)،ج1،ص:29.

[53]- د.محمد الطالبي:المخصص دراسة ودليل(مذكور)،ص:35

[54]- نفسه:33.

[55]- نفسه:33.

[56]- نفسه:30.

[57]- نفسه:32،وانظر البير حبيب مطلق في الحركة اللغوية في الأندلس:370.

[58]- د.محمد الطالبي:المخصص دراسة ودليل(مذكور)،ص:32.

[59]- مطلق البير حبيب: الحركة اللغوية في الأندلس، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1967، ص: 368-370.

[60]- ابن سيده:المخصص في اللغة(مذكور)،ج1،ص:14.

[61]- د.محمد الطالبي:المخصص دراسة ودليل(مذكور)،ص:60.

[62]-نفسه:58.

[63]- نفسه:64،

[64]- نفسه:60.

[65]- نفسه:61.

[66]- نفسه:61.

[67]- نفسه:61.

[68]- ابن سيده:المخصص في اللغة(مذكور)،ج1،ص:23-25.

[69]- د.محمد الطالبي:المخصص دراسة ودليل(مذكور)،ص:65.

[70]- نفسه:64-65.

[71]-(د.قاسم سارة:التعريب جهود وأفاق،دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق-بيروت،ط1409،1-1989،ص:229-230).

[72] - د.كريم زكي حسام الدين:أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، مكتبة النهضة المصرية،ط1421،3-2001، ص:263-264.

[73] - د.عبد العلي الودغيري:"المعجم العربي بين التطور والجمود"،مجلة الموقف المغربية، رجب 1407-مارس 1987،ع1،ص:45.

[74] - الثعالبي:فقه اللغة وسر العربية،ط البابي الحلبي 1972،ص:3.

[75]- د.زكي نجيب محمود:تجديد الفكر العربي،دار الشروق،ط 7،ص:217.